

قراءة في كتاب محمد الطالبي ليظمن قلبي نخبنا.. حين تتداب

أحد من مخالفينا، وطلب الحقيقة عين الحداثة وغايتها. من المؤكد هنا أن مسألة الحداثة في حاجة إلى نقاش. ما أفهمه مثلا من الحداثة هو امتلاك علوم ومعارف حديثة وتمثل لآليات فهم ممنهج وتحليل موضوعي. هذا هو شرطها اللازم أما شرطها الكافي فهو العمل من أجل إرساء صراع سلمي وتاريخي تتعايش فيه تعددية للأفكار والتقاليد وتتم فيه رؤى مختلفة في فهم الماضي والتوقع في الحاضر. بهذا المعنى فإن أهم ما في الحداثة هو أنها ليست أمراً معطى ومكسباً نهائياً بل حراك وجدل متواصلان في الفكر والواقع. من ثم يكون السؤال: هل في هذا الموقف من الإنسلاخسلايين ما يحقق ظروف أفضل للحداثة بشرطها اللازم والكافي أم أنه مزيد من التدابير والتشظي بين النخب؟ المحرج في هذا الكتاب هو نفس الإدانة المبتوتة في أكثر من مقطع والذي ينقد جهوداً لنخب عربية وأوروبية ومسيحية هي بحاجة إلى النقد لكن بغير هذه الصرامة المتعالية. بعض ما ورد في كتاب الطالبي غير مقبول رغم أنه مفهوم. هو غير مقبول من الذين تابعوا دراسات الطالبي في التاريخ الوسيط وتجديد الفكر الإسلامي لكونهم يدركون ما يعنيه الرهان الذي تأسست عليه الجامعة التونسية والتي كان هو أحد ركانها. أليس عبد المجيد الشرفي وتلاميذه من نتاج ذلك الاختيار القائم على تكوين في الإنسانيات بمناهج حديثة لا تسعى في بحوثها إلا إلى التحقيق والموضوعية؟ ما انتهى إليه الطالبي مثلا في بحثين أحدهما عن ضرب المرأة في الخطاب القرآني والثاني في مسألة

يُسّرُ المرء لرؤية الكتاب ويفرح لاقتنائه ويسعد بمطالعه، ذلك أن في استصحاب الكتاب توسعة للذات تتمو بها الشخصية وتفتح بها آفاق الوعي وتستيقظ بها الإرادة. بالكتاب المبدع يمتد العمر مديداً، عُمر المبدع وعُمر القارئ، فترتقي الحياة مزهوة بالتتوّع وبالتنوّع المتخيل فيها روحاً وذكاء وحركة. هذا هو شأن الكتاب في كل حضارة فما بالك بالحضارة التي انبعثت أساساً من كتاب. أمّا في الواقع فقد عاش الكتاب عندنا في بلاد المغرب وضعاً يختلف عما درج عليه المشرق، هو هنا قطعٌ نادرٌ ومتاع سريع العطب. تعرّض في الماضي إلى الحرق والإتلاف فضلاً عما طغى لدى العلماء طوال القرون من سّنة الرواية الشفوية المشدّدة على الحفظ أكثر من أيّ سعي إلى الإضافة بالكتابة والإبداع بالتأليف. لذلك سادت بين المتأخرين من المغاربة قولة: من آلف فقد استُهدف توقياً من الكتاب الجديد المؤدي إلى النقد والتقييم.



الدكتور محمد الطالبي.

بقلم: أحمد النضر *

شروط مفسر القرآن وأدابه في القرن التاسع الهجري. قال صاحب الإقتان: اعلم أن من شرطه (المفسر) صحة الاعتقاد أولاً ولزوم سنة الدين فإن كان مغموصاً عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤتمن في الدين على الإخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الإخبار عن أسرار الله تعالى ولأنه لا يؤمن من أن كان متهماً بالإلحاد أن يبغى الفتنة ويغري الناس بلبينه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة، إن استعادة الطالبي لهذا الخطاب في عصرنا إقرار بمنطق (الفرقة الناجية)، في ذات الوقت الذي يقول فيه: إننا لسنا في حرب مع

هنا تبرز أهم مفارقات هذا الكتاب الهام، ذلك أن من يهدف لتجلية الهمم الإيماني باعتباره أرقى تعبير عن حرية الضمير ملتزماً في ذات الوقت بمقاربة حدثية، لا بد أن ينأى بنفسه عن كل تشهير يذكر بعقم ما في تراثنا من عناوين منسوجة على نسق (فضائح الباطنية) للغزالي. كيف يمكن الإخلال بأخلاقيات الحوار في كتاب ذي مشروع فكري وضعه صاحبه وصيةً تستشرف جيلاً يصلح ما أفسدته أجيال؟ بعض المؤاخذات الواردة في الكتاب الموجهة خاصة لعبد المجيد الشرفي تذكر بما كتبه السيوطي في الإقتان حين تناول

العصر ومشاغله وتحدياته. هذا ما جعل المؤلف يباشر موضوعه من عدّة زوايا. هو وصية تختزل مسيرته في دروب الحياة وأوعارها وهو تكريم لابن خلدون، رائد الحداثة، وهو فوق هذا وذاك مكاشفة فيها تبيان لمسالك الإيمان والسعي إلى الحقيقة. السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي ضرورة الربط بين هذه المجالات الثلاثة ومجال رابع فيه ردّ قاطع على من لا يشاطره من الباحثين المعاصرين رؤيته في التعامل مع النص الديني؟ الواضح أن مواجهة الإنسلاخسلايين أو المؤسسين للحداثة على أساس القطع مع الإسلام بعدد أساس في مشروع (ليظمن قلبي).

شخصيات وتاريخ...

في ذكرى وفاته التي تصادف 5 جمادى الآخرة 672 هـ

مولانا جلال الدين الرومي قوة الإسلام المتسامح



يخاطب عامة المثقفين على عكس كتابه الأول الذي يخاطب خاصة الصوفية. كتاب (المجالس السبعة): ويشتمل على سبع مواعظ دينية وخطب ألقاها أثناء اشتغاله بالتدريس. بالإضافة إلى مجموعة رسائله، وفيها تلك الرسائل التي وجهها إلى شيوخه شمس الدين تبريزي، وهي تصور تلك العلاقة الروحية السامية التي ربطت بين الشيخ شمس الدين وبين مريده جلال الدين، تلك الرابطة الوثيقة من الحب المتسامي الرفع. توفي جلال الدين الرومي في 5 من جمادى الآخرة 672 هـ الموافق 17 من ديسمبر 1273 م عن عمر بلغ نحو سبعين عاماً، ودُفن في ضريحه المعروف في قونية في تلك التكية التي أنشأها لتكون بيتاً للصوفية، والتي تُعد من أجلّ العمارات الإسلامية وأكثرها روعة وبهاءً بنقوشها البديعة وزخارفها المتقنة، وثرثارتها الثمينة، وطُرُزها الأنيقة. وقد ظهر على الضريح بيت من الشعر يخاطب به جلال الدين زواره قائلاً:
بعد أزوفات تربت مادر زميني مجوي
درسينهاي مردم عارف مزارمست
ومعناه باللغة العربية هو:
يا من تبحت عن مرقدنا بعد شد الرحال
قبرنا يا هذا في صدور العارفين من الرجال

والتحكم في أهوائها، وتكشف (المتنوي) عن ثقافة جلال الدين الرومي الواسعة، والتعبير عن أفكاره بروح إنسانية سامية، تتضاءل إلى جوارها بعض الأعمال التي توصف بأنها من روائع الأعمال الأدبية. وقد استخدم جلال الدين في (المتنوي) فن الحكاية بإقتان بارع، وهي في حركتها وتطورها وحوارات أشخاصها لا تقل روعة عن بعض القصص المعاصر، وتتميز الشخصيات بأنها ثرية متنوعة في تساميتها وعجزها ونفاقها وريائها، وحيرتها بين الأرض وما يربطها بها، وبين السماء وما يشدها إليها، كل ذلك في تدفق وانسياب غامر، وعرض شائق، وأسلوب جذاب أخذ لغة متميزة.

أهم آثاره

ترك جلال الدين الرومي عدداً من المصنفات الشهيرة منها:
المتنوي: وقد نظمته في ستة مجلدات ضخمة تشتمل على 25649 بيتاً من الشعر، وقد تُرجم إلى العربية، وطُبع عدة مرات، كما تُرجم إلى التركية وكثير من اللغات الغربية، وعليه شروح كثيرة، وهو كتاب ذو مكانة خاصة عند الصوفية.
ديوان (شمس تبريزي): ويشتمل على غزليات صوفية، وقد نظمته نظماً التزم فيه ببحور العروض، وهو يحوي 36023 بيتاً بالإضافة إلى 1760 رباعية، ويشتمل أيضاً على أشعار رومية وتركية، وهو ما يدل على أنه كان متعدد الثقافة، وأنه كان على صلة بعناصر غير إسلامية من سكان قونية.
كتاب (فيه ما فيه): وهو عبارة عن حشد لمجموعة ذكرياته على مجالس إخوانه في الطريقة، كما يشتمل على قصص ومواعظ وأمثال وطرائف وأخبار، وهو

وانصرف جلال الدين بعد هذا اللقاء عن التدريس، وانقطع للتصوف ونظم الأشعار وإنشادها، وأنشأ طريقة صوفية عُرفت باسم المولوية نسبة إلى مولانا جلال الدين.
اهتم جلال الدين الرومي بالرياضة وسماع الموسيقى، وجعل للموسيقى مكانة خاصة في محافل تلك الطريقة، مخالفاً في ذلك ما جرى عليه الإسلام، وما درجت عليه الطرق الصوفية ومدارس التصوف آنذاك.
اتسم شعر جلال الدين الرومي بالنزعة الصوفية الخالصة؛ فقد كان شعره أدباً صوفياً كاملاً، له كل المقومات الأدبية، وليس مجرد تدفق شعوري قوي، أو فوران عاطفي جياش يعبر به عن نفسه في بضعة أبيات كغيره من الشعراء، وإنما كان شعره يتميز بتنوع الأخيلة وأصالتها، ويتجلى فيه عمق الشعور ورسالة الأفكار، مع سعة العلم وجمال التصوير وروعة البيان.
ويُعد جلال الدين شاعراً من الطبقة الأولى؛ فهو قوي البيان، فياض الخيال، بارع التصوير، يوضح المعنى الواحد في صور مختلفة، له قدرة على توليد المعاني واسترسال الأفكار، ويتسم بالبراعة في انتقاء الألفاظ واختيار بحور الشعر، وتسخير اللغة والتحكم في الألفاظ.
وتصل قمة الشاعرية عند جلال الدين الرومي في رائته الخالدة (المتنوي)، وقد نظمها لتكون بيتاً وشرحاً لمعاني القرآن الكريم، ومقاصد الشريعة المطهرة؛ ليكون ذلك هدفاً إلى تربية الشخصية الإسلامية وبنائها، وزاداً له في صراعه مع قوى الشر والجبروت، ووعناً له على مقاومة شهوات النفس

من بين فحول شعراء الصوفية في الإسلام برز اسم الشاعر الفارسي الكبير جلال الدين الرومي كواحد من أعلام التصوف، وأحد أعلام الشعر الصوفي في الأدب الفارسي.
وُلد جلال الدين محمد بن محمد بن حسين بن أحمد بن قاسم بن مسيب بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، بفارس في السادس من ربيع الأول 604 هـ الموافق 30 من سبتمبر 1207 م، لأسرة قيل إن نسبها ينتهي إلى أبي بكر، وتحظى بمصاهرة البيت الحاكم في خوارزم، وأمه كانت ابنة خوارزم شاه علاء الدين محمد.
وما كاد يبلغ الثالثة من عمره حتى انتقل مع أبيه إلى بغداد سنة 607 هـ، الموافق 1210 م إثر خلاف بين أبيه والوالي محمد قطب الدين خوارزم شاه. وفي بغداد التي نزل أبوه فيها، لم يستقر بها طويلاً؛ إذ قام برحلة واسعة زار خلالها دمشق ومكة وملتصية وأرزبغان ولارند، ثم استقر آخر الأمر في قونية في العام 632 هـ/ الموافق 1226 م حيث وجد الحماية والرعاية في كنف الأمير السلجوقي علاء الدين قنقباد، واختير للتدريس في أربع مدارس بقونية حتى توفي سنة 628 هـ الموافق 1231 م، خلفه ابنه جلال الدين في التدريس بتلك المدارس.
وقد عُرف جلال الدين بالبراعة في الفقه وغيره من العلوم الإسلامية، إلا أنه لم يستمر كثيراً في التدريس؛ فقد كان لقاؤه بالصوفي المعروف شمس الدين تبريزي، أعظم الأثر في حياته العقلية والأدبية؛ فمنذ أن التقى به حينما وفد على قونية في إحدى جولاته، تعلق به جلال الدين، وأصبح له سلطان عظيم عليه ومكانة خاصة لديه.